## الفصل الثامن والثمانون

# استثمرْ في تعليمك

**في أزمنة التحوّل الكبرى المتعلّمون هم الذين يرثون المستقبل، فالمتعلّمون قادرون على العيش في عالمٍ لم يعد موجوداً.**

**إريك هوفر**

ما هو رأسمالك الأكبر؟ أنا أستغرب دائماً عندما يتردّد الناس في الاستثمار في أنفسهم. فهم لا يستحقّون مواصلة التعليم وحسب، بل هم في حاجةٍ إليه، إذا ما أرادوا مواصلة التقدّم. وتنصّ القاعدة العامة على استثمار خمسة إلى عشرة بالمئة من الدخل في مواصلة تحصيل العلم. تؤكّد نتائج الدراسات أن الأشخاص ذوي التأهيل الجيد والمتخصّص يكسبون أكثر من الآخرين. إذاً، بوجود "السيولة المالية" الضرورية، في وسعك أيضاً تحصيل تأهيلٍ أفضل. من المعروف أن 25 بالمئة من معلوماتنا ومعارفنا في الحاسوب، على سبيل المثال، تتقادم ويعفو عليها الزمن كل ثلاثة أشهر. فإذا لم تتابع التطوّر الجاري، تقادم الجزء الأكبر من علمك الراهن بعد سنة واحدة. ومن يمتلك المعرفة الراهنة، يتقن عمله بشكل أفضل. إذاً، تدبّر أمرك وواصلْ تعليمك.

حبّ الاستطلاع والفضول لا يُقاوَم. الفضوليون يريدون الاستزادة في العلم باستمرار بصرف النظر عن عمرهم. إن لم تتعلّمْ وتواصل تطوير نفسك، فأنت كالميت. وفي عصرنا الحالي، حيث تتيح شبكة الإنترنت لكل إنسان معلوماتٍ واسعة، لستَ مضطراً إلى معرفة كل شيء بطبيعة الحال. حسبك أن تكون على درايةٍ أين وكيف تجد المعلومات التي تحتاجها. ولا شك في أن المعرفة المكتسَبة لن

تبقَ أهم ما في الأمر مستقبلاً، بل مقدرتنا على التعلّم والتأقلم بأسرع ما يمكن. فالعالم ملك للسريعين والفضوليين.

كيف تدرّب فضولك؟ كنْ على يقين بدايةً من أنك لا تعرف كل شيء. كلما ازداد علمنا في موضوعٍ ما، تبيّن لنا أن هناك المزيد لمعرفته في هذا الموضوع. وهذه حقيقة واضحة كل الوضوح للفضوليين، الأمر الذي يجعلهم متواضعين ومنفتحين على كل ما هو جديد، مما يزيد بدوره من جاذبيتهم نحو الآخرين. عندما تكون على يقين بدايةً من أنك لا تعرف كل شيء، وأنه يتعذّر عليك معرفة كل شيء، سوف يسهُل عليك أن تعيش بعينين مفتوحتين، وأن ترفع من استعدادك للتعلّم. هل سبق أن لفتك أن من يدّعي العلم في كل شيء، لا مكان لديه إطلاقاً للمعلومات الجديدة؟ فهو يستهلك طاقته كلها في الإثبات لمن حوله بأنه على حقّ دائماً. إنه ببساطة شخص غير قادر على الاسترخاء وتلقّي ما هو جديد.

لا شك في أن سبب فضولنا هو توقنا إلى النموّ والتطوّر. أنا شخصيّاً على قناعة بأن الأمر هنا يتعلق بمغزى حياتنا أيضاً، لذا من الطبيعي جداً أننا نبحث طوال حياتنا عن سُبُلٍ لتطوّرنا الشخصي. ومع ذلك لا نصل إلى الهدف، لأن الأمر يتعلق بعملية تطوّرٍ مستمرة. لا يمكننا سوى تحسين أنفسنا والارتقاء. كل زبائني فضوليون يريدون تحسين أنفسهم وحياتهم، وهم على استعداد لتجريب أفكارٍ وسُبُلٍ جديدة. أما إذا لم تحرز النجاح الذي تستحقّه، على الرغم من أنك تبذل كل ما في وسعك لتحقيق هذا النجاح، فأنت تفتقد إلى شيءٍ ما. إن الشخصيات القوية بنوعٍ خاص هي فقط القادرة على طلب المساعدة التي تحتاجها وعلى اتخاذ القرارات اللازمة. لا يهمّ بعض الناس إطلاقاً، ولسببٍ ما، أن يصبحوا خير إنسان يمكن أن يكونوه، ومن يعتقد أنه يعرف كل شيء، من المؤكّد أن التدريب لا يناسبه.

كان روب يدّعي أنه أعرف الناس. كان متعجرفاً بصورة مخيفة. حينما تتحادث معه، ينتابك الشعور مبدئياً أنه ينظر إليك من علٍ. كان روب يعمل في مصرفٍ استثماري ذائع الصيت في وول ستريت، ولم يكن باستطاعته ببساطة أن يفهم لماذا لم تكن رئيسته تستحسن عمله، وكان يرى أنها بلهاء. كان كثير الشكوى من أنه يعمل طوال نهاية الأسبوع على تقريرٍ يهمّها، لتقوم هي صباح الإثنين بإجراء تعديلاتٍ جذرية عليه (علماً بأن هذه التعديلات لم تكن ضرورية على الإطلاق برأيه)، وتطلب منه كتابته مرة أخرى. لم يكن قادراً على منع نفسه من

إبداء ملاحظةٍ لاذعة، وكان يتنصّت على مكتبها. كان يصل إلى الاجتماعات متأخّراً عادةً - ذلك أنه لا تُناقَش فيها سوى توافه الأمور على كل حال، ولم يكن يُنهي مشاريعه في الوقت المناسب. ولم يفاجئني أنه تلقّى أخيراً خطاب فصله من العمل. بيد أن وقع هذا الخطاب كان مفاجئاً جداً على روب. على كل حال كانت هذه هي الوظيفة الثانية التي يخسرها في غضون سنة واحدة. وقد اهتزّتْ ثقته بنفسه بشكل كبير في هذه الأثناء. وفهم أخيراً أن عليه أن يدرك أخطاءه، إذا كان يريد تحقيق النجاح المرغوب. وقد شكّل هذا تحديداً نقطة التحوّل في حياته، واعترف أخيراً أنه لم يكن عليماً بكل شيء، وأنه بحاجة إلى مساعدة. وبعد أن روى لي قصّته، نصحتُه بمدرّبٍ كان قد عمل طوال ما يزيد عن ثلاثين سنة في مناصب قيادية في شركاتٍ مختلفة. صحيح أن روب كان زبوناً صعباً، ولكنه كان على استعدادٍ للتغيّر. بعد بضعة أشهر وجد وظيفةً جديدة أتاحت له فرصةً لبدايةٍ جديدة، وكان روب هذه المرة على استعدادٍ للتعلّم من زملائه ومن رؤسائه ما أمكن - وإن لم يكونوا على حقّ برأيه. وهو يعمل الآن في الشركة ذاتها منذ أكثر من سنة، وفرصه المهنية جيدة نسبيّاً. وقد زال تبرّمه الدائم، لا بل بات في هذه الأثناء زميلاً لطيفاً حقاً.

ثمة سبيل آخر لبقائك منفتحاً على ما هو جديد، يكمن في الاشتغال بحقلٍ لا خبرة لديك فيه. اشتغلْ مثلاً بآداب اللغة أو بالفيزياء، أو تعلّمْ رقص التانغو. ليس المهم ما تتعلّم - اخترْ ميداناً يثير اهتمامك. عدْ تلميذاً من جديد، وابدأ من الأول مرة أخرى. أحطْ نفسك بأشخاصٍ يمتلكون معرفةً أكثر منك في بضعة ميادين على الأقل.

كانت مواصلة التعليم تُعدّ فيما مضى ترفاً، ولكنها اليوم ضرورة. ألا تعرف بعد كيف يعمل حاسوبك الشخصي؟ انسَ المراجع، والتحقْ بدورة حاسوب، أو دعْ خبيراً يُطلِعك على ذلك. هل تودّ العمل في قسم الشؤون الدولية؟ اطلبْ إلى ربّ عملك أن يموّل لك دورة لغة أجنبية. استغلّ ما أمكن من عروض شركتك فيما يتعلّق بمواصلة التعليم. وإذا أردتَ مواصلة تأهيلك في حقلٍ غير معروض من قبل ربّ عملك، استعلمْ من رئيسك عن الإمكانات الموافقة. أنا أنصح زبائني مبدئياً بأن يواصلوا تحصيل ما أمكن من العلم على حساب ربّ العمل. إنما عليك أن تُعلِمه بشكل مقنِع أن مواصلة التعليم هذه سوف تنعكس إيجابياً على أدائك، وأن تحدّد

لـه جـدول مواعيـد دقيـق قـدر الإمكـان. إن كنـت سـيد نفسـك في العمـل، أو كنـتَ تعمل في مهنةٍ حرة، وتهتمّ بكل شيء بنفسك، يُرجَّح أن تضطر إلى مواصلة تحصيل العلم في ميـادين أكثـر بكـثير. هـل تنقصـك الصـفات القياديـة الضـرورية؟ هـل حـان الوقـت لتجديـد معارفـك في الحاسـوب؟ عليـك المواظبـة، فـإن لم تكـنْ متخصّصـاً، سوف يتأخّر النجاح. إذاً، خُذِ الوقت، وتعلّمْ كـل مـا يتعلّق باختصاصـك الشخصـي، ثم واصل تحصيل العلم في المجالات الأخرى.